HNSJ Humanitarian & Natural Sciences Journal
ISSN: (e) 2709-0833
www.hnjournal.net
مجلة العلوم الإنسانية والطبيعية
مجلة علمية محكمة

عنوان البحث

شواهد على التطور الدلالي في التركيب القرآني

تمام محمد السيد[1]

[1] كلية المجتمع العربي سابقاً، تخصص علم اللغة والنحو–الأردن

تاريخ الاستلام: 2020/09/15م تاريخ النشر: 2020/10/01م

المستخلص

كان للقرآن الكريم وقعٌ كبيرٌ على قريش والعرب، بين مصدق ومكذب؛ كما كان له أثر كبير في تغير مفاهيم الناس ومعتقداتهم ومبادئهم، من هنا انطلق هذا البحث الذي يتعلق باللغة والدلالة، حيث ما كان لغير العربية أن تنشأ معجزة القرآن الكريم، التي هي معجزة التاريخ الإنساني.

تناول هذا البحث بعض التراكيب القرآنية، منها ما عرفته العرب، فجاء القرآن ومنحها دلالة جديدة، ومنها ما لم تعرفه العرب، فكان من صنعة القرآن الكريم ابتداءً، حتى باتت تعدّ مصطلحات قرآنية، متبعاً في ذلك المنهج الوصفي التحليلي.

هذا، ويمكن أن يعدّ هذا البحث خطوة في طريق العمل على المعجم التاريخي، الذي يعمل عليه اتحاد مجامع اللغة العربية، الذي مازال العمل به قائماً.

الكلمات المفتاحية: التطور الدلالي/ التركيب القرآني/ دلالة جديدة/ مصطلح قرآني جديد.

RESEARCH ARTICLE

VIEWS ON SEMANTIC DEVELOPMENT IN QURA'ANIC STRUCTURE

Abstract

The Holy Qur'an had a great impact on the Quraysh and the Arabs, between believing and disbelieving. It had a great impact on changing people's perceptions, beliefs and principles, hence, this research related to language and connotation was launched, whereby the non-Arabic miracle of the Holy Qur'an would not have arisen, which is the miracle of human history.

This research dealt with some Qur'anic compositions, some of which the Arabs didn't know. So it was from the work of the Noble Qur'an from the beginning, until it came to be considered Qur'anic terms, following in that descriptive analytical approach.

This research could be considered a step in the way of working on the historical dictionary that the Federation of Arabic Language Councils is working on, which (FALC) is still working on. The research contained fifteen Qur'anic structures, nine of which were of Qur'an work and the other six structures the Holy Qur'an gave them a new meaning.

Key Words: semantic development / Quranic structure / new connotation / new Quranic term.

مقدمة:

صال العلماء قديماً وجالوا في الكلام على الفرق بين (الكلام والقول)، واستقروا على أن الكلام لفظ مستقل بنفسه مفيد لمعناه، وذهبوا إلى أنه بهذا المعنى هو الجملة، ورأوا أن القول هو ما كان تاماً أو ناقصاً. واستدل ابن جني على هذا الفرق بـ "إجماع الناس على أن يقولوا: القرآن كلام الله، ولا يقال: القرآن قول الله، فعبّر لذلك عنه بالكلام الذي لا يكون إلا أصواتاً تامة مفيدة، وعَدَل به عن القول الذي قد يكون أصواتاً غير مفيدة وآراء معتقدَة)[1].

موضوع البحث وأهميته:

يحاول هذا البحث بيان ما إذا كان أسلوب البيان القرآني اختلف عما أَلِفَتْهُ العرب من أساليب قبل نزول القرآن الكريم، وما قدّم القرآن من تراكيب ودلالات جديدة تثبت تحدي القرآن للعرب، وعدم قدرتهم على الإتيان بمثله، وتأكيد أن القرآن الكريم هو حافظ اللغة العربية بما أعطاها من مرونة هائلة وقدرات اشتقاقية عظيمة، وإمكانية لا حدود لها لتجديد التراكيب وأساليب التعبير.

من هنا، اتخذ هذا البحث من التراكيب القرآنية مجالاً له؛ ذلك أن الدراسات الدلالية منها ما مجاله اللفظ، ومنها ما مجاله النظر في الجمل والتراكيب، التي من طبيعتها أن تتشكل في أنماط لغوية متعددة، كل نمط له دلالته البيانية ومعانيه البلاغية.

مشكلة البحث:

القرآن الكريم يتجدد النظر فيه وفق تجدد العصر، فكان لا بد من توجيه أنظار الدارسين والباحثين إلى مثل هذه الدراسات لتقديم صورة عن حيوية اللغة، ووسائل تطورها وتنميتها، واستمرارها وقدرتها على مواكبة الحياة؛ إلى جانب حاجة المكتبة العربية والإسلامية إلى مثل هذه الدراسات المتخصصة في لغة النص القرآني ومدلولاتها.

حدود البحث:

منهج القرآن الكريم في جانب اللغة ثلاثة أوجه؛ فهو إما أن ينبذ ألفاظاً، أو يعطيها دلالات جديدة، أو أنه يصنع ألفاظاً جديدة.

وهنا في هذا البحث، سيتم دراسة انتقاء تراكيب ذات دلالات جديدة ضمن الوجه الثاني والثالث، يتم الاهتداء إليها بالنظر والتأمل، في النص القرآني الكريم.

أهداف البحث:

يهدف البحث الوقوف على تراكيب منها ما هو جديد استحدثه القرآن الكريم، ومنها ما عرفته العرب، لكنّ القرآن الكريم أضفى عليها دلالات جديدة لم يعرفها العرب من قبل، وهم أصحاب البلاغة والفصاحة.

منهج البحث وإجراءاته:

اعتمد البحث المنهج الوصفي التحليلي، وذلك باللجوء إلى معاجم اللغة القديمة الكبرى، ككتاب العين، ولسان العرب، وتاج العروس، إلى جانب مصادر اللغة الكبرى مثل: جمهرة اللغة، والخصائص، والاعتماد على أشهر كتب التفسير مثل: جامع البيان في تفسير القرآن ، والتفسير الكبير، والجامع لأحكام القرآن، ومصادر الشعر الجاهلي وغير الجاهلي مما يحتج به مثل: دواوين الشعراء الجاهليين، وغير الجاهليين ممن يحتج بشعرهم، والمجموعات الشعرية كالحماسة والمفضليات، وعلى كتب الدراسات القرآنية الحديثة وكتب التطور اللغوي والدلالي، مع العلم أن هذه المصادر والمراجع ليست على سبيل الحصر.

ولما كان البحث يتناول التراكيب دون الألفاظ، والتركيب –كما هو معلوم– يشتمل على غير لفظ واحد، ارتأيت أن أرتبها ترتيباً هجائياً، بحسب جذر الكلمة الأولى في التركيب.

الدراسات السابقة:

بعد البحث في الدراسات قديماً وحديثاً، لم أقف على دراسة متخصصة في هذا الموضوع، وقفت على دراسات في هذا الموضوع، جلها في اللفظ القرآني، أما ما يتصل بالتركيب القرآني، فمما وقفت عليه:

([1]) الخصائص، أبو الفتح عثمان بن جني، ج1، ص18.

- كتاب: التطور الدلالي بين لغة الشعر الجاهلي ولغة القرآن الكريم (1985)، للدكتور عودة خليل أبو عودة، تناول في كتابه مئتين وخمسين مصطلحاً (بين لفظ وتركيب)، درسها دراسة لغوية ثم اصطلاحية، بين فيها وجه التطور الدلالي ودور السياق في بيان الدلالة، كما عقد فصلاً فيما يظن أنها مترادفات، فنفى وجود الترادف في القرآن الكريم تماماً.

على أن هذا البحث سيكون بحثاً متخصصاً يدرس دراسةً هادفة بعض التراكيب القرآنية، التي رأى الباحث إما أنها من صنيع القرآن الكريم، أو أن القرآن أعطاها دلالة جديدة، وفق منهج محدد يتمثل في النظر في استعمال العصر الجاهلي للفظة أو التركيب، بالاستعانة بمعاجم اللغة ومصادرها ودواوين الشعر الجاهلي والمجموعات الشعرية، ومن ثم النظر في كتب التفسير وكتب الدراسات القرآنية للوصول إلى قول أو رأي في معنى المصطلح ودلالته.

خطة البحث:

يشتمل البحث على مقدمة ومبحثين، وخاتمة.

المقدمة، تحتوي على: موضوع البحث وأهميته، مشكلة البحث، حدود البحث، أهداف البحث، منهجية البحث وإجراءاته،

المبحث الأول

تراكيب جديدة صنعها القرآن الكريم

- **أَضْغَاثُ أَحْلَامٍ:**

ورد تركيب (أضغاث أحلام) في القرآن مرتين في قوله تعالى: ﴿قَالُوٓاْ أَضۡغَٰثُ أَحۡلَٰمٖۖ وَمَا نَحۡنُ بِتَأۡوِيلِ ٱلۡأَحۡلَٰمِ بِعَٰلِمِينَ﴾ يوسف: 44. وقال تعالى: ﴿بَلۡ قَالُوٓاْ أَضۡغَٰثُ أَحۡلَٰمٖ بَلِ ٱفۡتَرَىٰهُ﴾ الأنبياء: 5.

"والضَّغْثُ: التباس الشيء بعضه ببعض، وضَغَثْتُ الناقةَ أضْغَثُها ضَغْثاً فهي ضغوثٌ: إذ لمستُ سنامها وقبضتُ عليه لأنظر أَبِها طِرْقٌ أم لا، أي أهي سمينة أم لا، والجمع ضُغُث. والضِّغْثُ (بالكسر): القبضة من الحشيش أو مقدارها مختلطة الرطب باليابس، تقول: ضربه بِضِغْث"[2].

"قال أبو حنيفة: الضِّغث: كل ما ملأ الكف من النبات، قال شمِر: الضِّغْثُ من الخبر والأمر: ما كان مختلطاً لا حقيقة له. وكلامٌ ضَغْثٌ وضَغَثٌ: لا ضير فيه والجمع أضغاث. قال ابن شميل: أضغاث أحلام: هي رؤيا لا يَصِحُّ تأويلها لاختلاطها والتباسها، وقال مجاهد: أضغاث الرؤيا: أهاويلها"[3]. "وهي تخاليط أحلام، وهي ما يكون من حديث النفس أو وسوسة الشيطان أو مزاج للإنسان"[4]، "بحيث لا يُعبَّر"[5]. قال ابن مقبل:

خَوْدٌ كأنّ فِراشَها وُضِعَت به ... أضغاثُ رَيحانٍ غداةَ شَمَال[6]

"وأصله: الحزمة من الحشيش"[7]، أو "أخلاط النبات"[8].

"والأحلام من حَلَمَ، تقول: حَلَمَ في نومه يَحْلُم حُلُماً: إذا رأى الأحلام"[9]، "وهي جمع حُلُم وهو ما لم يصدق من الرؤيا والأضغاث"[10]، "وهي المختلطة التي دخل بعضها في بعض فلم تتميز مخارجها ولم يستقم تأويلها"[11].

([2]) لسان العرب، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم المعروف بابن منظور، مادة (ضغث). تاج العروس من جواهر القاموس، الزبيدي، محمد مرتضى، ، مادة (ضغث).

([3]) تاج العروس من جواهر القاموس، مادة (ضغث).

([4]) تفسير البحر المحيط ، محمد بن يوسف أبو حيان الأندلسي، م5، ص313.

([5]) التسهيل لعلوم التنزيل، محمد بن أحمد (ابن جزي الكلبي)، م1، ج2، ص120.

([6]) ديوان ابن مقبل، تميم بن أُبَيّ بن مقبل، ص260. خود: الفتاة الشابة الحسنة الخلق، وشمال: ريح الشمال وهي باردة.

([7]) جامع البيان في تفسير القرآن (المعروف بتفسير الطبري) أبو جعفر محمد بن جرير الطبري، م7، ج12، ص134.

([8]) تفسير البحر المحيط، م5، ص313.

([9]) جمهرة اللغة، أبو بكر محمد بن الحسن (ابن دريد الأزدي)، مادة (حَلَمَ).

([10]) تفسير الطبري، م7، ج12، ص134.

أقول: لقد استعمل القرآن الكريم الضِّغث بمعناه الأصلي الذي هو القبضة من الحشيش أو نبات الأرض، وذلك في قوله تعالى: ﴿قَالُوٓاْ أَضۡغَٰثُ أَحۡلَٰمٖۖ﴾: 44 ثم استعملها منتقلاً بها من المعنى المادي إلى معنى معنوي فربطها بالأحلام التي قد اختلطت والتبست فلا تأويل لها، فقال في موضعين كريمين: أضغاث أحلام مرة على لسان سحرة مصر واصفين رؤيا حاكم مصر، وأخرى على لسان قريش واصفين ما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم من نبوة ورسالة، فاتهموه بالسحر مرة، وبأن ما يأتي به هو من أضغاث الأحلام مرة أخرى. والعرب عَرَفت الأحلام وعرفت الضغث، لكن أن تربط بينهما في تركيب واحد فهذا ما لم تعرفه، ولم يرد هذا التعبير القرآني أضغاث أحلام على ألسنتهم، إنما هو تركيب قرآني عبّر به القرآن عما تحدث به سحرة فرعون، ومن بعدهم قريش في حق ما جاء به محمد عليه السلام من دعوة.

وإذ إن الرؤى من الله رؤى حق، والأحلام من الشيطان، فإن العرب لم تكن تفرق بينهما في جاهليتها؛ فهم مشركون. ولمّا لم يرد تركيب أضغاث أحلام في شعر العرب فيما اطلعتُ عليه، فإن هذا التركيب تركيب قرآني جديد صنعه القرآن الكريم بدلالة معنوية جديدة.

- **حصحص الحق:**

جاء هذا التركيب القرآني مرة واحدة في قوله تعالى: ﴿قَالَتِ ٱمۡرَأَتُ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡـَٰٔنَ حَصۡحَصَ ٱلۡحَقُّ أَنَا۠ رَٰوَدتُّهُۥ عَن نَّفۡسِهِۦ وَإِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾ يوسف: 51.

"والحصُّ والحُصَاص: شدة العَدْوِ في سرعة، وقد حصَّ يَحُصُّ حَصَّاً، فَحَصَّ حَصَصَاً وانْحَصَّ. والحصُّ: حلق الشعر، والحاصّة: الداء الذي يتناثر منه الشعر"[12]، يُقال في أمثالهم:

"أَفْلَتَ وانحصَّ الذَنَبُ"[13]، "ويُقال: طائر حُصَاص، وأَحَصُّ الجناح، أي مُتناثِرُه"[14]، قال تأبط شراً:

كأنما حثحثوا حُصَّاً قَوَادِمُه أو أُمَّ خِشْفٍ بذي شَثٍّ وطُبَاق[15]

"والحصحصة: بيان الحق بعد كتمانه، وقد حصَّصَ الشيء تحصيصاً وحَصْحَصَ: بان وظهر بعد كتمانه، ولا يُقال حُصْحِصَ. قال أبو العباس: الحصحصة: المبالغة، يُقال: حَصْحَصَ الرجلُ: إذا بالغ في أمره، وقيل اشتقاقه في اللغة من الحِصَّة: أي بانت حِصة الحق من حِصَّة الباطل، وقيل: حَصْحَصَ: ثَبَتَ؛ من حَصْحَصَ البعيرُ: إذا برك[16]، وتمكن واستقر في بروكه"[17].

"وأصل الحصّ: استئصال الشيء، يُقال: حصَّ شعره، إذا استأصله جزّاً أو مرضاً، فمعنى (حصحص الحق): انقطع عن الباطل بظهوره وثباته، قال الشاعر:

ألا مبلغٌ عني خِدَاشاً فإنه كذوبٌ إذا ما حصحص الحقُّ ظالمُ"[18]

([11]) تاج العروس من جواهر القاموس، مادة (حلم).

([12]) لسان العرب، مادة (حصص).

([13]) مجمع الأمثال، الميداني، أبو الفضل أحمد بن محمد الميداني، م2، ص70.

([14]) لسان العرب، مادة (حصص). تاج العروس، مادة (حصص).

([15]) ديوان تأبط شراً، ثابت بن جابر الفهمي القيسي (تأبط شراً)، ص132. حثحثوا: حثّوا، حص القوادم: الظليم الذي تناثر ريشه، أم خشف: الظبية، ذو شث وطباق: نبتان يقويان الراعية ويضمّرانها.

([16]) لسان العرب، مادة (حصص).

([17]) التفسير الكبير (مفاتيح الغيب)، محمد بن عمر المعروف بالفخر الرازي، (1990)، م9، ج18، ص123.

([18]) الجامع لأحكام القرآن (المعروف بتفسير القرطبي)، أبو عبدالله محمد بن أحمد القرطبي، م5، ج9، ص208. لم أجده في المجموعات الشعرية.

وبعدُ، فقد استمد تركيب (حصحص الحق) دلالته من المعنى اللغوي الأصلي، فبات هذا التركيب بمنزلة مَثَلٍ يجري على ألسنة الناس، يشير إلى استئصال الباطل وظهور الحق وانكشافه بعد كتمانه، "فتمكن في القلوب والنفوس"[19]، وهنا يمكن القول: إن تركيب (حصحص الحق) تركيب قرآني جديد صنعه القرآن، لم يرد في كلام العرب.

- **سارب بالنّهار:**

هذا تركيب ورد في القرآن الكريم مرة واحدة، وذلك في قوله تعالى﴿سَوَآءٌ مِّنكُم مَّنْ أَسَرَّ ٱلْقَوْلَ وَمَن جَهَرَ بِهِۦ وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍۭ بِٱلَّيْلِ وَسَارِبٌۢ بِٱلنَّهَارِ﴾ الرعد: 10/9.

والسَّرْبُ: المال الراعي، أي الإبل، يُقال: أُغِير على سِرْب القوم. وفي الجاهلية يقولون للمرأة عند الطلاق: اذهبي فلا أنْدَهُ سَرْبَك، فتَطْلُق بهذه الكلمة. قال ابن الأعرابي: السَّرْب: الماشية كلها وجمعه سُروب وقيل: أسراب. والسِّرب: الطريق. قال الأزهري: سمعت العرب تقول: خلّى سَرْبَه: أي طريقه (بالفتح)، وأنكره المبرد وقال: لا أعرفه إلا بالفتح (سَرَب)، قال تعالى: ﴿فَٱتَّخَذَ سَبِيلَهُۥ فِى ٱلْبَحْرِ سَرَبًا﴾ الكهف: 61 والسَّرْب: الوِجهة والطريق، والسَّرْب: الصدر، والسِّرب (بالكسر): القطيع من الظباء والنساء والطير وغيرها. والسَّرِبُ: الذاهب الماضي. والسَّارِبُ كالسَّرِب عن ابن الأعرابي: وهو الذاهب على وجهه في الأرض[20]، قال صخر الغي:

فخاتَت غزالاً جاثماً بَصُرَتْ به ... لدى سَمُراتٍ عند أدْماءَ سارِب[21]

وسَرَبَ الفحلُ ويَسرُبُ سُروباً فهو سارب: إذا توجه للمرعى[22]، قال الأخنس بن شهاب التغلبي:

أرى كلَّ قومٍ قاربوا قَيدَ فحلِهِم ... ونحن خَلَعْنَا قَيْدَهُ فهو سارِبُ[23]

وسَرَب سُرُوباً: خرج وذهب. وفي التنزيل: (وَسَارِبٌۢ بِٱلنَّهَارِ) قال الأخفش: مستخف بالليل: أي ظاهر، والسارب: المتوازي. وقال أبو العباس المستخفي: المستتر، والسارب: الخفي والظاهر. وقال قطرب: سارب بالنهار: أي مستتر، والسروب بمعنى الظهور مجاز[24].

لم تخرج كتب التفسير عما أوردته معاجم اللغة، إلا أن لها بعض الإضافات الجيدة سواء كان الإنسان مستخفياً في الظلمات أو كان ظاهراً في الطرقات، فَعِلمُ الله تعالى محيطٌ بالكل، وقال ابن عباس رضي الله عنهما: سواء ما أضمرت القلوب وأظهرته الألسنة، وقال مجاهد: سواءٌ من يقوم على القبائح في ظلمات الليالي ومن يأتي بها في النهار الظاهر على سبيل التوالي[25].

إن كلَّ هذه الأقوال صحيحة، والعربُ عَرفت لفظة (سارب)، جاء القرآن الكريم فقال: وَسَارِبٌۢ بِٱلنَّهَارِ فخصّص هذا التركيب بحالة من حالات الإنسان، تتمثل في الظهور والانتشار والانصراف في الحوائج، وربما أذهب إلى أبعد من هذا، فأقول: ويشمل هذا التركيب حال المرء في الحياة وفي الممات؛ فالله عالم بخلقه سواء أكانوا أمواتاً أم أحياءً، ويُستشف هذا المعنى من حديث ابن عمر: "إذا مات المؤمن يُخلى له سَرَبُه يَسْرَح حيثُ شاء"[26]، فالمرء حيّاً ومَيْتاً سارِب في طريقه والله عالم به، بهذه المعاني كلها أقول: إن تركيب وَسَارِبٌۢ بِٱلنَّهَارِ تركيب لغوي قرآني جديد الصنعة والدلالة.

- **العُدْوَةُ الدُّنْيَا والعُدْوَةُ القُصْوَى:**

ورد هذا التركيب في القرآن الكريم مرة واحدة في قوله ﴿إِذْ أَنتُم بِٱلْعُدْوَةِ ٱلدُّنْيَا وَهُم بِٱلْعُدْوَةِ ٱلْقُصْوَىٰ وَٱلرَّكْبُ أَسْفَلَ مِنكُمْ﴾ الأنفال: 42.

([19]) التفسير الكبير، م9، ج18، ص123.

([20]) لسان العرب، مادة (سرب). تاج العروس، مادة (سرب).

([21]) ديوان الهذليين. الدار القومية للطباعة والنشر (وزارة الثقافة والإرشاد القومي)، ج2، ص56، خاتت: انقضّت عليه، وسمرات: شجرات. أدماء: صفة للظبية.

([22]) لسان العرب، مادة (سرب). تاج العروس، مادة (سرب).

([23]) المفضليات، المفضل بن محمد بن يعلى الضبي، ص 208. السارب: الذاهب في الأرض. الأخفش الأصغر، أبو المحاسن علي بن سليمان.. كتاب الاختيارين، الأخفش الأصغر، ص146.

([24]) الزبيدي، تاج العروس، مادة (سرب).

([25]) الفخر الرازي، التفسير الكبير، م10، ج19، ص15.

([26]) الزبيدي، تاج العروس، مادة (سرب).

"والعِدَى والعَدَا: الناحية، والجمع: أعداء"[27].

"يُقال: الزَم أعداءَ الوادي: يريد نواحيه"[28]، قال ذو الرّمة:

تَسْتَنُّ أعداءَ قُرْيانٍ تَسَنَّمَهَا غُرُّ الغَمامِ ومرتَجَّاتُهُ السُّودُ[29]

"والعُدْوة: المكان المتباعد، والعِدَى والعُدْوَة والعِدْوة والعَدْوة كله: شاطئ الوادي، والعِدْوة والعُدْوة: المكان المرتفع. قال الفراء في قوله تعالى: بِٱلْعُدْوَةِ ٱلدُّنْيَا وَهُم بِٱلْعُدْوَةِ ٱلْقُصْوَىٰ العُدوة: شاطئ الوادي، والدنيا: أي الأدنى مما يلي المدينة، والقصوى: مما يلي مكة: قال ابن السكيت: عُدوة الوادي وعِدْوتُه: جانبه وحافته، والجمع: عِدى وعُدى"[30]. "فقد اختلف في قراءة (العدوة) بالضم أم بالكسر، فقرأ عامة المدنيين والكوفيين (بالضم)، والمكيين والبصريين (بالكسر)، وهما لغتان مشهورتان بمعنى واحد"[31]، قال أوس بن حجر:

وفارسٍ لا يَحُلُّ الحيُّ عُدْوَتَه وَلَّوْا سِرَاعاً وما هَمُّوا بإقبال[32]

وقال الراعي النميري:

وعينان حرٌّ مآقيهما كما نَظَرَ العُدْوَةَ الجُؤْذَرُ[33]

"قال: بكسر العين هنا"[34].

"قال الأخفش: الكسر كلام العرب لم يسمع من غير ذلك، وقال أحمد بن يحيى: الضم في العدوة أكثر اللغتين[35]، وقال صاحب الكشاف: "العدوة: شاطئ الوادي بالكسر والضم والفتح"[36].

لم يأت تركيب العدوة الدنيا والعدوة القصوى في أشعار العرب في الجاهلية، وإن عَرفت العرب العدوة، وعرفت لها معنى الناحية، إلا أن هذا التركيب بهذا الشكل لم تعرفه، إذ صنعه القرآن للناس في كل زمان، ليصوّر "المعركة شاخصة بمواقع الفريقين فيها، وشاهدة بالتدبير الخفي من ورائها"[37]؛ إذ خرج المسلمون من المدينة فنزلوا ناحية الوادي الأخرى من المدينة، والمشركون خرجوا من مكة فنزلوا في الناحية الأخرى البعيدة عن المدينة، وبينهما ربوة تفصلهما، ولا يدري أحد بموقع الآخر، فـ "يد الله تكاد تُرَى وهي توقف هؤلاء هنا، وهؤلاء هناك، والقافلة من بعيد! والكلمات تكاد تشف عن تدبير الله في رؤيا الرسول –صلى الله عليه وسلم– وفي تقليل كل فريق في عين الفريق الآخر، وفي إغراء كل منهما بالآخر"[38].

وبهذا كان تركيب (العدوة الدنيا والعدوة القصوى) تركيباً قرآنياً جديداً، علماً على موقع كلٍّ من المسلمين والمشركين في غزوة بدر.

- **العروة الوثقى:**

ورد هذا التركيب في القرآن الكريم مرتين، وذلك في قوله تعالى: ﴿فَمَن يَكْفُرْ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَا ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٥٦﴾﴾ البقرة: 256.

وقوله تعالى: ﴿وَمَن يُسْلِمْ وَجْهَهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ ۗ وَإِلَى ٱللَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ﴾ لقمان:22.

([27]) لسان العرب، مادة (عدو).

([28]) جمهرة اللغة، مادة (عدو).

([29]) ديوان ذي الرمة، غيلان بن عقبة (ذو الرمة العدوي)، ج2، ص1365. تسنن أعداء قريان: تعدو ناحية مجاري الماء إلى الرياض. تسنمها: علاها. غر الغمام: بيض الغمام. مرتجات: السحاب لها ارتجاج.

([30]) لسان العرب، مادة (عدو).

([31]) تفسير الطبري، م6، ج10، ص8.

([32]) ديوان أوس بن حجر، أوس بن حجر، ص104.

([33]) ديوان الراعي النميري، عبيد بن حصين (الراعي النميري)، ص118، والجؤذر: ولد البقرة الوحشية.

([34]) تفسير الطبري، م6، ج10، ص9.

([35]) التفسير الكبير، م8، ج15، ص134.

([36]) الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل ، أبو القاسم جارالله محمود بن عمر الزمخشري، ج2، ص159.

([37]) في ظلال القرآن، سيد قطب، م3، ج10، ص1524.

([38]) المرجع السابق، الصفحة نفسها.

يقال: "عَرَاه الأمر يعرُوه عَرْواً: غشيه وأصابه وحلّ به. والعُرْوة: الشجر الذي يبقى على الجَدْب وبه سُميّ الرجل عروة"[39]، "والعُروة من الدلو والكوز ونحوه: المِقبض، والعُروة من الثوب، وعروة القميص: مَدْخل زِرّه. والعُروة: الأسد فسمي الرجل عروة. وقيل: هو الشجر الملتف الذي تَشْتُو فيه الإبل فتأكل منه.

والعروة الوثقى: قول (لا إله إلا الله)، وقيل: معناه: عقد لنفسه عقداً وثيقاً لا تحُلُّه حجة. وقال الأزهري: العروة: من دِقِّ الشجر ماله أصل باق في الأرض كالنّصِي والعَرْفج وأجناس الخلّة والحَمْض، فإذا أمحل الناس عَصَمتِ العروةُ الماشية فتبلّغت بها، ضربها الله مثلاً لما يعتصم به من الدين"[40]. قال صاحب التاج:"وهو أصل العروة"[41]. والعُرى قوم ينتفع بهم تشبيهاً لهم بذلك الشجر الذي يبقى في الأرض ولا يذهب، قال المهلهل:

خَلَعَ الملوكَ وسار تحت لوائه شجرُ العُرى وعُرَاعِرُ الأقوام[42]

ذهبت كتب التفسير إلى ما ذهبت إليه معاجم اللغة من معانٍ للعروة، لكن كان لها بعض الإضافات الجيدة، إذ قالوا: "سميت العروة بهذا؛ لأن العروة عبارة عن الشيء الذي يُتعلق به، والوثقى: تأنيث الأوثق، وهذا من باب استعارة المحسوس للمعقول؛ لأن من أراد إمساك شيء يتعلق بعروته"[43]، فكان تركيب (العروة الوثقى) تركيباً دالاً على ما يُعتصَم به من الإيمان والإسلام متمثلة (بلا إله إلا الله) التي هي مفتاح الهداية والإيمان والاتباع على الهدي القويم، فارتفعت دلالة (العروة)، وبات تركيب (العروة الوثقى) تركيباً قرآنياً جديداً صنعةً ودلالةً، مرتبطاً بالمؤمن الحق، الذي باعتصامه بالدين –كما يقول الزجاج–: "يَعْقِد عقداً وثيقاً لا تَحُلُّه حُجة"[44].

- **لا يألونكم خبالاً:**

هذا تركيب ورد مرة واحدة في القرآن في قوله تعالى﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ بِطَانَةً مِّن دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا﴾آل عمران: 118.

وردت مشتقات الفعل (ألو) في القرآن الكريم ثلاث مرات هي: يُؤْلون في قوله تعالى: ﴿لِّلَّذِينَ يُؤْلُونَ مِن نِّسَآئِهِمْ تَرَبُّصُ أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ﴾ البقرة: 226 ويألونكم التي هي موضع البحث هنا، ويأتل في قوله تعالى﴿وَلَا يَأْتَلِ أُوْلُواْ ٱلْفَضْلِ مِنكُمْ وَٱلسَّعَةِ﴾ النور: 22.

أما لفظة (الخبال)، فقد وردت مرتين، وذلك في قوله تعالى: لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا آل عمران: 118 وقوله تعالى: ﴿لَوْ خَرَجُواْ فِيكُم مَّا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا﴾ التوبة: 47. ولم ترد أي مشتقات أخرى في القرآن الكريم لهذه الكلمة.

"أما يألونكم، فمن" ألَا ألْوَاً وأُلُوّاً، وما ألَوْته: ما استطعته"[45]، "ولا يألوا: لا يُقَصّر"[46]. وأما الخَبْل، فقد اختلف في أصل معناها، فقيل: "النقصان وهو الأصل، ثمّ سُمي الهلاك خبالاً"[47]، قال لبيد:

وقناةٌ تبغي بِحَرْبَةَ عَهْدَاً مِنْ ضَبُوحٍ قَفَّى عَلَيهِ الخَبَال[48]

"وفي العباب: أصل الخبال: الفساد، ثم استعمل في النقصان والهلاك"[49].

وقال الراغب: "أصل الخَبْل: الفساد الذي يلحق الحيوان فَيُورِثه اضطراباً كالجنون والمرض المؤثر في العقل والفكر"[50].

وقد أوردت المعاجم معاني عدة للخَبْل، وقد عرفت العرب مادة خبل، ووردت في شعرها وكلامها، "يقال: لنا في بني فلان

([39]) جمهرة اللغة، مادة (عرو).

([40]) لسان العرب، مادة (عرا).

([41]) تاج العروس، مادة (عرو).

([42]) ديوان المهلهل، عدي بن ربيعة بن الحارث بن زهير (المهلهل). ديوان المهلهل، ص83.

([43]) التفسير الكبير، م4، ج7، ص15.

([44]) لسان العرب، مادة (عرا).

([45]) القاموس المحيط، مادة (ألو).

([46]) جمهرة اللغة، مادة (ألا).

([47]) جمهرة اللغة، مادة (خبل). لسان العرب، مادة (خبل).

([48]) ديوان لبيد بن ربيعة العامري ، لبيد بن ربيعة العامري، ص270 . قناة: البقرة الوحشية.

([49]) تاج العروس، مادة (خبل).

([50]) المفردات في غريب القرآن أبو القاسم الحسين بن محمد الراغب الأصفهاني، ص141.

دماء وخُبُول، فالخُبُول قطع الأيدي والأرجل، وقال رجل من العرب: إن لنا في بني فلان خَبْلاً في الجاهلية؛ أي قطع أيدٍ وأرجل وجراحات"[51].

"وقالوا: خَبِلَتْ يدُه: أي شُلَّت وقيل: قُطِعت"[52]، قال أوس بن حجر:

أبَني لُبَيْنى، لستُمُ بِيَدٍ إلا يداً مخبولةَ العَضُدِ[53]

"والخَبَل (بالتحريك) وهو الخابل، وقيل: الخابل الجن، والخَبَل اسم الجمع"[54]، قال المهلهل:

لو كنت أقتلُ جِنَّ الخابِلَيْن كما أَقْتُلُ بَكْراً، لأضحى الجنُّ قد نَفَدَا[55]

وبعدُ، فإن تركيب يَأۡلُونَكُمۡ خَبَالٗا لم يرد في كلام العرب بهذه الصيغة التركيبية، وبالنظر في هذا التركيب ضمن سياقه في الآية الكريمة، يتبين تماماً أنه حكم إلهي بالنهي عن أخذ فئةٍ معينة من الناس بطانةً، وبخاصة أن هذه الآية نزلت في "رجال من المسلمين، كانوا يواصلون رجالاً من اليهود لما كان بينهم من الجوار والحلف في الجاهلية، فأنزل الله عز وجل فيهم، فنهاهم عن مباطنتهم تخوف الفتنة عليهم منهم"[56]، فهذا التركيب تركيب خاص؛ يصف البطانة السيئة التي نهى الله المسلمين عن اتخاذها، إذ إنها لا تدع جهداً في مضرتهم وفسادهم، فإنهم "إن لم يقاتلوكم في الظاهر، فإنهم لا يتركون الجهد في المكر والخديعة"[57]، وعليه فهو تركيب قرآني جديد.

- **والسماء ذات الرجع:**

هذا تركيب قرآني ورد مرة واحدة في القرآن، وذلك في قوله تعالى﴿وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلرَّجۡعِ ١١﴾ الطارق: 11.

جاء في معاجم اللغة: سما الرجل يسمو، إذا علا وارتفع فهو سام، وسماء كل شيء: أعلاه[58].

والسماءُ: كلُّ ما علاك فأظلك، ومنه قيل لسقف البيت: سماء، وللسحاب: سماء[59].

والرَّجع، من رَجَعَ يَرجع رَجْعاً ورُجوعاً ورُجْعى ورُجعاناً ومَرْجِعاً ومَرْجِعةً: انصرف، قال تعالى: ﴿إِنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلرُّجۡعَىٰٓ﴾ العلق: 8 أي الرجوع والمَرجع: وهي مصدر على فُعلى. والرَّجعة: مذهب قوم من العرب في الجاهلية معروف عندهم، إذ يقولون: إن الميت يرجع إلى الدنيا ويكون فيها حيّاً كما كان.

ورجَّع الرجلُ وتَرَّجع: ردد صوته في قراءة أو أذان أو غناء أو زَمْر أو غير ذلك مما يترنم به. والرَّجع والرجيع والراجعة: الغدير يتردد فيه الماء[60]، قال المتنخل الهذلي في وصف السيف:

أَبْيَضُ كَالرَّجْعِ رَسُوبٌ إذَا مَا ثَاخَ في مُحتَفَلٍ يَخْتَلي[61]

"والرَّجع: عامة الماء، وقيل: ماء لهذيل غلب عليه، قال أبو عبيدة: الرّجع في كلام العرب: الماء.

وعن الأزهري قال: قرأت بخط أبي الهيثم حكاه عن الأسدي، قال: يقولون للرعد رَجْعاً"[62].

وقد أورد المفسرون أقوالاً متعددة في معنى چ ڍ ڍ ڌ ڌ چ، "فقالوا: (ذات الرجع) أي ذات المطر يرجع المطر بعد المطر، كما

([51]) لسان العرب، مادة (خبل).

([52]) تاج العروس، مادة (خبل).

([53]) المصدر السابق، مادة (خبل)، وفي الديوان: إلا يداً ليست لها عَضُدٌ، ص21.

([54]) لسان العرب، مادة (خبل).

([55]) ديوان المهلهل، ص24.

([56]) تفسير الطبري، م3، ج4، ص40.

([57]) تفسير القرطبي، م2، ج4، ص180/179.

([58]) جمهرة اللغة، مادة (سما).

([59]) أدب الكاتب ، أبو محمد عبدالله بن مسلم (ابن قتيبة)، ص85.

([60]) تاج العروس، مادة (رجع).

([61]) ديوان الهذليين، ج2، ص13. الرجع: الغدير فيه ماء المطر. الرسوب: الذي إذا وقع غمُض مكانه لسرعة قطعه. المحتفل: معظم الشيء. ثاخ: غاب. يختلي: يقطع.

([62]) تاج العروس، مادة (رجع).

يرى ابن عباس"[63]، "وقال: أي ذات السحاب فيه المطر. وقيل: أي

ترجع بالغيوم وأرزاق العباد كل عام"[64]، "وقال ابن زيد: هو أنها ترد وترجع شمسها وقمرها بعد مغيبهما"[65]، "وقيل: ذات النفع، وقيل: ذات الملائكة لرجوعهم إليها بأعمال العباد"[66]، ويرجح الفخر الرازي قول ابن عباس في معنى (ذات الرجع) [67].

ذلك هو مفهوم (ذات الرجع) في معاجم اللغة وكتب التفسير، ويظهر من العرض السابق أن (ذات الرجع) وصف أو حال للسماء لم تَنْعَت به العربُ السماءَ في كلامها فيما اطلعت عليه، رغم معرفة العرب الرجعَ وتسميتها به للماء بحسب أبي عبيدة، وتسميتها للرعد رجعاً أيضاً بحسب الأزهري.

وأقول هنا: إن هذا التركيب يمكن أن يحمل المعاني السابقة كلها؛ "فالمطر يرجع في كل عام، وقالوا: إن العرب كانوا يزعمون أن السحاب يحمل الماء من بحار الأرض ثم يرجعه إلى الأرض فسموه رجعاً"[68] أما أن الرّجع: تردد الصوت وتردد الماء في الغدير، فهو معنى تمكّن العلماء من خلاله ومن خلال وسائل العلم الحديثة من القول بأن الرجع كلمة تعني: "صدى تفجر بعض الكواكب في طبقات الفضاء العليا البعيدة، تلك الكواكب التي اختفت منذ آلاف السنين، ولازال صدى صوتها يتردد في الفضاء حتى وصل إلينا في أيامنا هذه بوسائل العلم المتطورة"[69].

إذن، فإن هذا التركيب (ذات الرجع) تركيب قرآني جديد، متجدد الدلالة عبر الزمان وَفْقَ تقدم العلم وتطوره، فالسماء ذات رجع متعدد ومختلف، "فإذا كانت السماء رجعاً لماء المطر فهي للأشعة الكونية المهلكة، تسقط من الشمس على الغلاف الجوي للأرض، فيرجعها إلى السماء ويردها إليها، وهذا رجع يحفظ الحياة على سطح الأرض، والأمر نفسه بالنسبة للأشعة البنفسجية التي يرجعها الغلاف الجوي إلى السماء ولا يصل منها إلى سطح الأرض إلا القليل، وهناك رجعٌ حديثٌ للسماء، وهو الموجات اللاسلكية التي تطلق من الجو إلى أقمار صناعية، فترجعها تلك الأقمار الصناعية إلى الأرض في مساحات واسعة ومحددة على سطح الأرض إنه رجع آخر، وهذا يصدق قول الله عز وجل: چ ډ ډ ڈ ڈ ژ ژ چ في المطر والأشعة الكونية والأشعة البنفسجية والموجات اللاسلكية وغيرها مما لا نعرفه حتى الآن، فلولا السماء وما فيها من غلاف جوي، وما فيها من أسرار أخرى ما كانت السماء ذات رجع، وإنما جعلها الله تعالى ذات رجع نعمةً من الله تعالى للإنسان، وفضلاً تستمر بواسطته حياة الإنسان على هذه الأرض"[70].

وعليه أقول: إن تركيب (ذات الرجع) في القرآن بات مصطلحاً وعلماً خاصاً بالظواهر الكونية المتجددة التي تتشكل وتحدث في السماء.

- **والأرض ذات الصَّدع*:**

هذا تركيب لاحق للتركيب السابق له في السورة نفسها وهو ذَاتِ ٱلصَّدۡعِ وقد ذُكر مرة واحدة في القرآن الكريم، قال تعالى: قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَٱلۡأَرۡضِ ذَاتِ ٱلصَّدۡعِ﴾ الطارق: 12.

"والصَّدع: من صَدَعَ الشيءَ يَصْدَعُه صَدْعاً وصَدَّعه فانصدع وتصدّع: شقه نصفين، وقيل: صدّعه: شقّه ولم يفترق، والصّدع: الشق في الشيء الصّلب كالزجاجة والحائط وغيرهما"، قال حسان يهجو الحارث بن عوف المُرّي:

وأمانةُ المُرّيّ حيث لَقِيتَهُ مثلُ الزّجاجةِ صَدْعُها لم يُجبَرِ [71]

([63]) التفسير الكبير، م16، ج31، ص120.

([64]) تفسير الطبري، م12، ج30، ص95/94.

([65]) التفسير الكبير، م16، ج31، ص120.

([66]) تفسير القرطبي، م10، ج20، ص11.

([67]) انظر: التفسير الكبير، م16، ج31، ص120.

([68]) المصدر السابق، الصفحة نفسها.

([69]) شواهد في الإعجاز القرآني: دراسة لغوية دلالية، عودة خليل أبو عودة، ص398/397.

*هذا التركيب موضعه حسب المنهج الذي اتبعته في ترتيب التراكيب، ليس هنا، لكن وضعته هنا لأنه لاحق للتركيب السابق ومرتبط به، فهما تركيبان في سورة واحدة ومتتاليان، فارتأيت أن ألحقه فوراً بصاحبه.

([70]) لمحات جديدة من إعجاز القرآن في المطر والسحاب، أحمد شوقي إبراهيم.

([71]) ديوان حسان بن ثابت، حسان بن ثابت، ص211.

"وصَدَعَ الفلاة والنهر يصدَعهما صَدْعاً وصَدَّعهما: شقهما وقطعَهما، قال لبيد:

فتوسَّطا عُرْضَ السَرِيِّ وصَدَّعا مسجورةً مُتَجاوِزاً قُلّامُهَا[72]

والصَّدعُ: نبات الأرض، لأنه يصدعها ويشقها فتتصدع به، قال تعالى: وَٱلۡأَرۡضِ ذَاتِ ٱلصَّدۡعِ [73].

قال ابن عباس: وَٱلۡأَرۡضِ ذَاتِ ٱلصَّدۡعِ أي ذات النبات إذ يصدعها إخراج النبات. وقال الحسن: تَصْدَع عما تحتها، وقال عكرمة: تصدع عن الرزق، وقال أبو زيد: صَدَعها للحرث"[74]. "وقال مجاهد: وَٱلۡأَرۡضِ ذَاتِ ٱلصَّدۡعِ أي الأرض ذات الطّرق التي تصدعها المشاة، وقيل: ذات الحرث؛ لأنه يصدعها. وقيل: ذات الأموات لانصداعها عنهم للنشور"[75].

ذلك هو الصدع في معاجم اللغة وكتب التفسير، لكن التقدم العلمي يقدم أوجهاً جديدة في تفسير (ذات الصدع)، "ففي أواخر الستينيات من القرن العشرين، اكتشف أن في القشرة الأرضية صدوعاً طولية وصدوعاً عرضية، معظمها في قيعان البحار والمحيطات، ويصل بعضها إلى وشاح الأرض بعمق مئة كيلومتر، ولقد قسمت تلك الصدوع العميقة قشرة الأرض إلى ألواح طافية فوق الصخور المنصهرة في وشاح الأرض... وتحدث صدوع في قيعان بعض المحيطات وتخرج الصهاري وتتراكم وتكون جبالاً عالية في قاع المحيط، وتشكل قممها جزراً في ذلك المحيط. وإن في قشرة الأرض صدوعاً لا تُعد ولا تحصى تحرك ألواح الغلاف الصخري للأرض، وفي ذلك أسباب لتكوُّن أرضٍ جديدةٍ وجبالٍ جديدةٍ، وتغيُّر الاتساع في البحار والمحيطات، وبذلك لا يستقر سطح الأرض على حال"[76].

أقول: إن كلّاً من المعاني التي وردت في تفسير علمي، كلٌّ في وقته وزمانه هو صحيح، وفقاً لما توفر لدى الناس من إمكانيات ووسائل معرفية. ولمّا كان تركيب (ذات الرجع) تركيباً متجدداً وفق التقنيات العلمية عبر الزمان، فإن تركيب (ذات الصدع) كذلك متجدد مع تجدد التقنيات وزيادة الإمكانيات، وهي تفسيرات موجودة في علم الله فهو الخالق، لكن الناس يكتشفونها عبر الأزمان. من كل ما سبق فإن (ذات الصدع)، تركيب قرآني جديد مختص بظواهر كونية تحدث في الأرض؛ فأصبح علماً، تماماً كما بات تركيب وَٱلۡأَرۡضِ ذَاتِ ٱلصَّدۡعِ علماً على الظواهر الكونية التي تتشكل وتحدث في السماء كما سبق أن قلتُ.

- **يحول بين المرء وقلبه:**

هذا تركيب قرآني ورد في القرآن مرة واحدة في قوله تعالى: ﴿وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَحُولُ بَيۡنَ ٱلۡمَرۡءِ وَقَلۡبِهِۦ﴾ الأنفال: 24.

والحَوْلُ: السَّنةُ[77]، قال امرؤ القيس:

وهل يَعِمَنْ مَنْ كان أَحْدَثُ عهده ثلاثين شهراً في ثلاثة أحوال[78]

وحالَ الحولُ حولاً: تمَّ، وأحال الشيءُ: أتى عليه حول، وأحال بالمكان: أقام به حولاً، وأحال الشيءُ: تحول من حال إلى حال، وحال وترُ القوس واستحالت القوسُ: انقلبت عن حالها وحصل في قابها اعوجاج[79]، قال أبو ذؤيب:

وحالتْ كَحَولِ القوس طُلَّتْ وعُطِّلَتْ ثلاثاً فَزاغَ عَجسُها وظُهارُها[80]

وحَوْلُ الشيءِ: جانبه الذي يمكنه أن يحول إليه، والمراد الإحاطة[81]، قال امرؤ القيس:

فقالت سباكَ الله إنّكَ فاضحي أَلَسْتَ ترى السُّمَارَ والنّاسَ أحوالي[82]

([72]) ديوان لبيد بن ربيعة، ص307، والسَّري: نهر صغير، مسجورة: أي مملوءة يعني عين الماء، قُلاّمها: نبت، قيل هو القصب.

([73]) لسان العرب، مادة (صدع).

([74]) تفسير الطبري، م12، ج30، ص95.

([75]) تفسير القرطبي، م10، ج20، ص11.

([76]) لمحات جديدة من إعجاز القرآن في المطر والسحاب.

([77]) تاج العروس، مادة (حول).

([78]) ديوان امرئ القيس، امرؤ القيس بن حجر الكندي، ص27.

([79]) تاج العروس، مادة (حول).

([80]) ديوان الهذليين، ج1، ص29. أي هذه الخُلّة انقلبت عن حالها كحول القوس؛ أي انقلابها عن عطفها. طُلّت: من الطل، أصابها الندى. عجس القوس: مقبضه.

([81]) تاج العروس، مادة (حول).

قال الراغب: "أصل الحَوْل تغير الشيء وانفصاله عن غيره، وباعتبار التغير قيل: حال الشيء يحولُ حُؤُولاً واستحال: تهيأ لأن يَحُول. وباعتبار الانفصال قيل: حال بيني وبينك كذا وقوله تعالى:
وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَحُولُ بَيۡنَ ٱلۡمَرۡءِ وَقَلۡبِهِۦ فإشارة إلى ما قيل في وصفه يُقلّب القلوب، وهو أن يلقي في قلب الإنسان ما يصرفه عن مراده لحكمة تقتضي ذلك، وقيل على ﴿وَحِيلَ بَيۡنَهُمۡ وَبَيۡنَ مَا يَشۡتَهُونَ كَمَا فُعِلَ بِأَشۡيَاعِهِم مِّن قَبۡلُۚ﴾سبأ/ ٥٤"[83].

"وجاء في قوله تعالى: يَحُولُ بَيۡنَ ٱلۡمَرۡءِ وَقَلۡبِهِۦ، أن يملك عليه قلبه فيصرفه كيف شاء، قال الليث: الحِوَال (بالكسر): كل شيء حال بين اثنين يُقال: هذا حِوَال بينهما، أي حائل كالحجاز والحاجز"[84].

وقد اختلف أهل التفسير في تفسير هذا التركيب، فقالوا: يحول بين الكافر والإيمان وبين المؤمن والكفر، قاله ابن عباس وسعيد بن جبير[85]، وقال الضحاك بن مزاحم: يحول بين الكافر وطاعة الله وبين المؤمن ومعصية الله[86]، وقال آخرون: يحول بين المرء وعقله فلا يدري ما يعمل، وقيل: يحول بين المرء وقلبه فلا يقدر على إيمان أو كفر إلا بإذنه[87]، وقال آخرون: قريب من قلبه لا يخفى عليه شيء أظهره أو أَسَرَّه، قال قتادة: وهو كقوله تعالى﴿وَنَحۡنُ أَقۡرَبُ إِلَيۡهِ مِنۡ حَبۡلِ ٱلۡوَرِيدِ﴾ ق: 16 وقالوا: أي إن الله يحول بين المرء والانتفاع بقلبه، وبين المرء وما يتمناه ويريده بقلبه، وذلك بالموت الذي يحول بين المرء والطاعة والتوبة[88].

إن التعبير القرآني يَحُولُ بَيۡنَ ٱلۡمَرۡءِ وَقَلۡبِهِۦ، تركيب يحمل المعاني السابقة الذكر كلها، وذلك في مستوى العلم الذي وصل إليه العلماء السابقون والمفسرون الكبار. وكثير من الآيات الكريمة في القرآن الكريم كان تفسيرها صحيحاً في زمن العلماء الذين فسروها من قبل، ولكن مقتضيات العلم الحديث وتطور وسائل المعرفة جعلت لكثير من هذه الآيات معاني ودلالات جديدة، ما كان بإمكان السادة العلماء السابقين أن يصلوا إليها، ولا يجوز أن يتجاوزها العلماء المعاصرون وأن يكتفوا بما قيل من قبل. مثال ذلك تفسير قوله تعالى: ﴿۞ وَلَقَدۡ وَصَّلۡنَا لَهُمُ ٱلۡقَوۡلَ لَعَلَّهُمۡ يَتَذَكَّرُونَ ٥١﴾ القصص: 51. فقد قال عنها العلماء من قبل إنا جعلنا بعضهم يسمع أخبار بعض أو يعرف أخبار من سبقوهم[89].

ولكن تفسير هذه الآية اليوم، يختلف تماماً عن هذا التفسير البسيط، إذ إن العالم اليوم يتصل كله بعضه مع بعض، وإنك لتتحدث مع كثير من متفرقين في أنحاء العالم حديث مشافهة تسمعهم ويسمعونك عبر وسائل الاتصال الحديثة المتطورة، وما ذلك إلا باستخدام ما مكن الله عز وجل منه الإنسان أن يخترعه ويكتشفه، مما يذلل به الإمكانات الهائلة في خلق الله.

وعلى هذا فإني أشعر أن علماً كبيراً ينبغي أن نتوصل إليه في تفسير قوله تعالى: ﴿وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَحُولُ بَيۡنَ ٱلۡمَرۡءِ وَقَلۡبِهِۦ﴾ الأنفال/24. فإن كل ما قيل فيها لا يتناسب مع هذا الجو العلمي العظيم الذي يتعلق بهذه الآية الكريمة. فيتساءل المرء: فما الذي يحييكم؟ وكيف يحول الله بين المرء وقلبه؟ ولماذا قال (قلبه) ولم يقل فؤاده أو نفسه أو روحه؟ إن هذه أسئلة كبيرة تنتظر البحث العلمي الجاد الذي يتضافر فيه علماء اللغة مع علماء التفسير وعلماء الأحياء والتشريح والطب والفلك والنفس والاجتماع وغيرها في محاولة الوصول إلى الدلالات العلمية المتطورة التي ترهص بها الآيات الكريمة.

وبَعْدُ، فإن هذا تركيب قرآني جديد، صنعه القرآن مستجداً إياه من الواقع، إلا أنه تركيب قرآني يحمل حقيقة معنوية تفيد أن قرب الله تعالى "من عبده أشد من قرب قلب العبد منه، والمقصود التنبيه على أن الله تعالى لا يخفى عليه شيء في باطن العبد ومما في ضميره"[90]، وهذا المعنى وهذه الدلالة دلالة إسلامية بحتة.

([82]) ديوان امرئ القيس، ص31.

([83]) المفردات في غريب القرآن، ص137.

([84]) تاج العروس، مادة (حول). نسب الزبيدي الكلام لصاحب العباب، لكنه لم يرد في كتاب العباب الزاخر.

([85]) تفسير الطبري، م6، ج9، ص142.

([86]) تفسير الطبري، م6، ج9، ص142. التفسير الكبير، م8، ج15، ص119.

([87]) انظر: تفسير الطبري، م6، ج9، ص143. تفسير القرطبي، م4، ج7، ص390.

([88]) انظر: التفسير الكبير، م8، ج15، ص119. تفسير القرطبي، م4، ج7، ص391.

([89]) انظر: شواهد الإعجاز القرآني: دراسة لغوية ودلالية، ص411-412.

([90]) التفسير الكبير، م8، ج15، ص120.

المبحث الثاني

تراكيب أضفى عليها القرآن الكريم دلالات جديدة

- **دلوك الشمس:**

هذا تركيب جديد في القرآن الكريم، ذكر مرة واحدة في قوله تعالى: ﴿أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِدُلُوكِ ٱلشَّمۡسِ إِلَىٰ غَسَقِ ٱلَّيۡلِ وَقُرۡءَانَ ٱلۡفَجۡرِۖ إِنَّ قُرۡءَانَ ٱلۡفَجۡرِ كَانَ مَشۡهُودٗا ٧٨﴾ الآية: 78.

"وقد اشتقه القرآن من واقع حياة الناس وواقع استعمالهم، فتقول: دَلَكَهُ دَلْكاً بيده: أي مَرَسَه ودَعَكَهُ وعَرَكَه، ومن المجاز: دَلَكتِ الشمس دُلوكاً: غربت؛ لأن الناظر إليها يُدَلّكُ عينيه، فكأنما هي الدالكة، قال الفراء عن العرب: يضع كفه على عينيه ينظر هل غربت الشمس"[91]. "والدّلك: وقت دلوك الشمس، ويقال: دلوكها: غيوبها، ودلكت الشمس: زالت"[92].

أما كتب التفسير، فقد اختلفت في دلوك الشمس على قولين[93]:

1- قالوا: دلوكها: غروبها، وهذا مروي عن جماعة من الصحابة؛ كعلي وعبدالله بن مسعود وابن عباس وأبي بن كعب، واختاره الفراء وابن قتيبة.

2- وقالوا: دلوكها: زوالها عن كبد السماء، وهو اختيار الأكثرين من الصحابة والتابعين، وقد احتجوا بقول أهل اللغة في معنى الدلوك في كلام العرب: أي الزوال.

قال الأزهري والقفال: أصل الدلوك: الميل، يقال: مالت الشمس للزوال، ومالت للغروب، من هنا فالمراد بالدلوك: الزوال عن كبد السماء.

العرب -إذن- عرفت دلوك الشمس، إلا أنها لم تعرفه متعلقاً بإقامة الصلاة، التي فرضها الله، وإذ تولدت -في ظل الإسلام- دلالة جديدة للصلاة، فإن ارتباط (دلوك الشمس) بإقامة الصلاة أعطى هذا التركيب دلالة جديدة أيضاً، فدلوك الشمس: زوالها، وفيه إشارة "إلى الظهر والعصر، وغسق الليل ظلمته، وذلك إشارة إلى المغرب والعشاء، وقرآن الفجر صلاة الصبح"[94]. ويرى الأزهري أن حَمْل الدلوك على الزوال في نصف النهار أولى من الغروب، والمعنى (أقم الصلاة): أي أقمها من وقت زوال الشمس إلى غسق الليل، فيدخل في هذا الظهر والعصر والمغرب والعشاء، ثم قال (وقرآن الفجر)، فإذا ثبت أن الدلوك هو الزوال دخلت الصلوات الخمس في هذه الآية. وإن حُمِل على الغروب فلا يدخل فيه إلا صلاة المغرب والعشاء والفجر، وحمل كلام الله على ما فيه أكثر فائدة أولى، من هنا وجب أن يكون الدلوك هو الزوال[95].

وأيّاً كان معنى دلوك الشمس عند المفسرين؛ فإن القرآن أعطى هذا التركيب دلالة جديدة مرتبطة بإقامة فرض من فروض الإسلام هو الصلاة، ولمّا كانت الصلاة في القرآن مصطلحاً جديداً؛ فإن هذا التركيب أيضاً مصطلح جديد الدلالة إذ ارتبط بها.

- **طوبى لهم:**

ورد تركيب (طوبى لهم) في القرآن الكريم مرة واحدة في قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ طُوبَىٰ لَهُمۡ وَحُسۡنُ مَـَٔابٖ ٢٩﴾الرعد: 29.

وطوبى من "طاب يطيب طاباً وطِيباً وطِيبةً وتَطْياباً، والطَّابُ: الطَّيِّبُ، والطوبى: الطِّيبُ وجمع الطَّيِّبَة وتأنيث الأطيب، وهي الحسنى والخير والخِيرَة وشجرة في الجنة أو الجنة بالهنديّة، يقال: طِيْبى وطوبى لك وطوباك، وهما لغتان"[96].

أوردت كتب التفسير معاني عدة لطوبى نقلاً عن أهل اللغة، فجاء في التفسير الكبير: "وقد اختلف أهل اللغة فيها على وجوه،

([91]) لسان العرب، مادة (دلك).

([92]) مجمل اللغة، أبو الحسين أحمد بن فارس، ج2، ص288.

([93]) تفسير الطبري، م8، ص91، التفسير الكبير، م11، ج21، ص21، تفسير القرطبي، م5، ج10، ص303.

([94]) التسهيل لعلوم التنزيل، م1، ج2، ص177.

([95]) التفسير الكبير، م11، ج21، ص22.

([96]) القاموس المحيط، مجد الدين الفيروز أبادي، مادة (طاب).

فقيل: فرح وقرة عين لهم، وقيل: نِعمٌ لهم، وقيل: غبطةٌ لهم، وقيل: حُسْنٌ لهم، وقيل: خير وكرامة، وقيل: العيش الطيب لهم، وقيل: هي شجرة في الجنة"[97].

"قال ابن عباس: هي فرح لهم وقرة عين وهي اسم الجنة بالحبشية، وكذا قال سعيد بن جبير، وقال الربيع بن أنس: هو البستان بلغة الهند"[98]. وهي "عند النحويين فُعلى من الطِّيب، وأصل (طوبى) (طُيْبى)؛ فقلبت الياء للضمة قبلها واواً... وبالسريانية (طُوبَا) بمعنى السعادة والغبطة، غير أنها من المواد المشتركة بين اللغات السامية[99]. ويقول قتادة: "هي كلمة عربية من كلام العرب يقول الرجل: طوبى لك: أي أصبت خيراً"[100]، حتى رفض بعضهم بأنها اسم شجرة في الهندية أو الحبشية فقال: هذا غير صحيح فالكلمة لها اشتقاق في العربية ظاهر[101]. ولعل الأخفش يؤكد ذلك إذ يقول: "من العرب من يضيفها، فيقول: طوباك"[102].

وبحسب ابن فارس الذي قال بوجود الاشتراك في التراكيب، فإن هذا التركيب يحمل معنيين هما:

- معنى الدعاء؛ فَنُعِدُّه تركيباً إنشائياً، أي: أصابوا خيراً فطاب عيشهم.
- ومعنى الشجرة؛ فَنُعِدُّه تركيباً خبرياً، أي: لهم شجرة في جنة تدعى طوبى.

وأرى أن هذا التركيب القرآني يحمل المعنيين معاً، فلا يمكن الفصل بينهما؛ فطيب العيش في ظل الرحمن في الدنيا يؤدي إلى الاستظلال بشجرة طوبى في الجنة. وفي المعنيين مبالغة لما سيناله المؤمن من الطيبات والملذات جزاء عمله الصالح في الدنيا.

أقول: لم ترد (طوبى) في الشعر الجاهلي فيما وقعت عليه، وإن عُرِفَت مادتها (طاب)، فجاء القرآن فقال ﭽ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭼ، وهي مقترنة بالمؤمنين. وعليه، يمكن القول: إن ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ تركيب قرآني ذو دلالة جديدة، اختص به المؤمنين في الدنيا بما ينعم الله عليهم من نعم وطيب عيش وفرح وقرة عين، وفي الآخرة بما سيكون لهم نصيب من النعم والعيش الطيب الكريم وقرة العين في الجنة، وزيادة على ذلك شجرة خاصة للمؤمنين اسمها طوبى، كما أخبرنا رسول الله –صلى اله عليه وسلم–: "طوبى شجرة في الجنة مسيرة مئة عام، ثياب أهل الجنة تخرج من أكمامها"[103].

- **طيراً أبابيل:**

ورد تركيب ﭽ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ مرة واحدة في القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ ۝٣﴾ الفيل: 3.

"والأبابيل من أَبَلَ، تقول: أَبَلَ الرجلُ: كَثُرَت إِبِلُه كأَبَّلَ تأبيلاً"[104]، قال الطفيل الغنوي:

فأَبَّل واسترخى به الشأنُ بعدما أَسافَ ولولا سعيُنا لم يُؤَبَّلِ[105]

"وأَبَلَ يَأْبِل أَبْلاً: إذا غلب وامتنع، وأَبَلَ بالعصا: ضَرَبَ بها، وأَبَلَ العشبُ: طال فاستمكن منه الإبل. وإبلٌ أوابل: أي كثيرة. وإبل أبابيل: أي فِرَق. قال الأخفش: قال بعضهم: واحد الأبابيل: إبَّوْل، وقال الجوهري: إبِّيل، قال: ولم أجد العرب تعرف له واحداً، والأبيل: الحزين بالسريانية"[106]، "والأبيل: الراهب: فارسي معرب"[107].

قال عمرو بن عبد الجن التنوخي:

([97]) التفسير الكبير، م10، ج9، ص41/40.

([98]) تفسير القرطبي، م5، ج9، ص316.

([99]) المعرب من الكلام الأعجمي على حروف المعجم، أبو منصور موهوب بن أحمد الجواليقي، ص226.

([100]) تفسير الطبري، م7، ج13، ص98.

([101]) التفسير الكبير، م10، ج19، ص41.

([102]) تهذيب اللغة، الأزهري، أبو منصور محمد بن أحمد الأزهري، مادة (طاب).

([103]) سلسلة الأحاديث الصحيحة الألباني، محمد ناصر الدين الألباني، ج4، ص639، رقم الحديث (1985). كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال، البرهان فوري، علاء الدين علي المتقي ابن حسام الدين البرهان فوري، ج14، ص457، رقم الحديث (39249).

([104]) لسان العرب، مادة (أبل).

([105]) ديوان الطفيل الغنوي، طفيل بن كعب الغنوي، ص71.

([106]) تاج العروس، مادة (أبل).

([107]) المعرب من الكلام الأعجمي على حروف المعجم، ص30.

وَمَا قَدَّسَ الرُّهْبَانُ في كُلِّ هَيكَلٍ أَبِيلَ أَبِيلَينِ عِيسَى بنَ مَرْيَمَا[108]

"والأبيل: التأبل عن النساء: أي ترك غشيانهن، بذلك سُمي الراهب أبيلاً"[109]، قال الأعشى:

فَإِنِّي وَرَبِّ السَّاجِدِينَ عَشِيَّةً وَمَا صَكَّ نَاقُوسَ النَّصَارَى أَبِيلُهَا[110]

"والعربُ تقول: ضِغثٌ على إبالة، والإبالة: الحزمة من الحطب"[111]، "وقد سميت الجماعة من الطير في نظامها بالإبالة"[112].

ذكر المفسرون في تفسيرهم طَيْرًا أَبَابِيلَ ما أوردته معاجم اللغة، إلا أنهم أضافوا صفات لتلك الطيور، وقد اخْتُلف في وصفها، "فابن عباس قال: كانت طيراً لها خراطيم كخراطيم الفيل، وأكف كأكف الكلاب. وروى عطاء قال: طير سود جاءت من قِبل البحر فوجاً فوجاً، وعن سعيد بن جبير: إنها بيضٌ صغار، وقال عكرمة: كانت خضراً ولها رؤوس مثل رؤوس السباع.... وإذا كانت أفواجاً، فلعل كل فوج منها كان على شكل آخر، فكل أحد وصف ما رأى"[113]. وكما اختلفوا في وصف الطير اختلفوا في معنى (أبابيل)؛ "قال عكرمة: أبابيل: مجتمعة، وقيل: متتابعة بعضها في إثر بعض، وقال ابن عباس ومجاهد: مختلفة متفرقة تجيء من كل ناحية، قال النحاس: وهذه أقوال متفقة، وحقيقة المعنى: أنها جماعات عظام وهو مشتق من الإبِل"[114]. ومن ذلك، قول الأعشى في وصف الطير وأسرابها:

طريقٌ وجبّارٌ رِواءٌ أصولُه عليه أبابيلٌ من الطير تَنْعَبُ[115]

وعليه، فإن تركيب (طيراً أبابيل) ليس مصطلحاً جديداً على العرب الفصحاء في العصر الجاهلي، إنما القرآن الكريم خلّد هذا المعنى، جاعلاً (طيراً أبابيل) وكأنه اسم مركب، فرسم بذلك صورة حية لمعجزة من معجزات الله، شاهدها العرب بأم أعينهم، في مناسبة لن تمحى من ذاكرة التاريخ، وستظل شاهدة على أن للبيت رباً يحميه.

- **وفار التَّنُّورُ:**

ورد هذا التركيب في القرآن الكريم مرتين اثنتين، قال تعالى ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَمۡرُنَا وَفَارَ ٱلتَّنُّورُ﴾ هود: 40.

وقال تعالى: ﴿فَإِذَا جَآءَ أَمۡرُنَا وَفَارَ ٱلتَّنُّورُ فَٱسۡلُكۡ فِيهَا مِن كُلّٖ زَوۡجَيۡنِ ٱثۡنَيۡنِ وَأَهۡلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيۡهِ ٱلۡقَوۡلُ مِنۡهُمۡۖ﴾ المؤمنون" 27.

"فار الشيءُ فَوْراً وفُؤُوراً وفَوَراناً: جاش، وفارَتِ القِدْرُ: غَلَت، وفَارَ العِرْقُ فَوَراناً: هاج ونَبَع، وفَوْرُ العِرْقِ في الفرس – وهو ما عرفته العرب–: هو أن يَظْهر به نَفْخٌ أو عَقْدٌ وهو مكروه، وفار المِسْكُ: انْتشر، وفارةُ الإبل – عند العرب–: فَوْح جلودِها إذا نَدِيت بعد الوِرْد، قال الشاعر:

لها فأرَةٌ ذَفْرَاءُ كُلَّ عشِيّةٍ كما فَتَقَ الكافورَ بالمسكِ فاتقُهْ"[116]

"والفَوَارَة: منبع الماء، قال ابن الأعرابي: يُقال للموجة والبركة: فَوَارة، والفُوَارة: ما يفور من حر القِدْر. وفار الماءُ من العين: ظهر متدفِّقه، وفَوْرُ الحَرِّ: شدَّته"[117]، وفي الحديث: "الحمى من فور جهنم فأطفئوها بالماء البارد"[118].

و"التَّنُّور ليس بعربي صحيح ولم تعرف له العرب اسماً غير التنور، فلذلك جاء في التنزيل چ ڃ ڃ چ؛ "لأنهم خُوطِبوا بما

([108]) معجم الشعراء، أبو عبيدالله محمد بن عمران المرزباني، ص210. وعلق محقق الكتاب: كذا في الأصل، والصواب: المسيح وليس عيسى. وجاء في المعرب للجواليقي (ص31): أبيل الأبيلين؛ المسيح بن مريم.

([109]) لسان العرب، مادة (أبل). تاج العروس، مادة (أبل).

([110]) ديوان الأعشى الكبير، ميمون بن قيس الأعشى. ص227.

([111]) مجمع الأمثال، م1، ص419.

([112]) التفسير الكبير، م16، ج32، ص95.

([113]) المصدر السابق، الصفحة نفسها.

([114]) تفسير القرطبي، م10، ج20، ص197.

([115]) ديوان الأعشى الكبير، ص251، وطريق: أطول ما يكون من النخل وجبار: ما طال من النخل.

([116]) ديوان الراعي النميري، ص183. فأرة ذفراء: رائحة طيبة. الفتق: الشق.

([117]) لسان العرب، مادة (فور). تاج العروس، مادة (فور).

([118]) المعجم الكبير، أبو القاسم سليمان بن أحمد الطبراني، ج4، ص326، رقم الحديث (4399).

عَرَفوا"[119] وهو "نوع من الكوانين: وهو الذي يخبز فيه، قال أبو منصور: وهو اسم أعجمي عربته العرب فصار عربياً ولا تعرفه في كلام العرب؛ لأنه مهمل"[120]، "وهو على بناء فعّل؛ لأن أصل بنائه (تنّر)، وليس في كلام العرب نون قبل راء"[121].

وقد اختلف المفسرون في تفسير قوله تعالى چ ج چ، "فابن عباس يقول: التنور: وجه الأرض فقد قيل لنوح: إذا رأيت الماء على وجه الأرض فاركب أنت ومن معك، قال: والعرب تسمي وجه الأرض تنوراً"[122]، "وقال آخرون منهم الحسن ومجاهد وعطيّة: هو تنور الخبز الذي يخبز فيه"[123]، "أي إذا رأيت تنور أهلك يخرج منه الماء فإنه هلاك قومك، قال مجاهد: هي آية لنوح كي يُركب أهله ومن معه في السفينة"[124]. وقالوا: "التنور: أعالي الأرض وأشرف موضع فيها"[125]، "قال قتادة: وكان علماً بين نوح وبين ربه"[126]. "وقال علي رضي الله عنه: هو طلوع الفجر وتنوير الصبح، من قولهم: نوّر الفجر والصبح تنويراً"[127].

وقد ذهبت كتب التفسير أيضاً إلى أن (التنور) ليس بعربي،

وبعدُ، فأقول: إن تركيب (فار التنور) في القرآن الكريم، مصطلح تركيبي جديد، لم تعرفه العرب من قبل، يقول الأزهري: "لا يُعرف في كلام العرب تنور قبل هذا"[128]، فأما إن قال قائل: كيف وقد جاء هذا التركيب في شعر أمية بن أبي الصلت في سفينة نوح:

فارَ تنّورُه وجاشَ بماءٍ طَمَّ فوقَ الجبالِ حتى عَلَاها[129]

فأقول: إن أميَّة أدرك الإسلام لكنه لم يُسلم، ولا ينفي هذا أن يكون قد تأثر بالقرآن الكريم سواءٌ أعرفت العرب التنور أم لم تعرفه قبل القرآن. فتركيب (فار التنور) في القرآن تركيب اختص بحالة نوح وقومه، إذ كان علامةً من الله تعالى لنبيه نوح كي يركب السفينة ومن آمن معه ويأخذ معه من كلٍّ زوجين اثنين فينجوا بأنفسهم، ذلك أن فَوْر التنور علامة هلاك قومه، وبذا كان مصطلحاً قرآنياً وتركيباً لغوياً جديداً، إن لم يكن صنعةً، فدلالةً.

- **ولا تصعِّر خدَّكَ للناس:**

ورد هذا التركيب في القرآن الكريم مرة واحدة، في قوله تعالى ﴿وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا﴾ لقمان: 18.

"والصَّعَرُ: ميل في الوجه، وقيل: في الخد خاصة، وربما كان خِلقة في الإنسان والظليم، وقيل هو ميل في العنق وانقلاب في الوجه في أحد الشَّقين، وقد صعَّر خدّه وصاعره: أماله من الكبر"[130]، ومنه قول المتلمس الضبي:

وكنّا إذا الجبّارُ صَعَّر خدَّه أقَمْنَا له من مَيْلِهِ فَتَقَوَّمَا[131]

"وأصل الصَّعَر: داءٌ يأخذ البعير فيلوي منه عنقه ويُميله، صَعِرَ وهو أصعر"[132]، قال أبو ذؤيب:

فَهُنَ صُعْرٌ إلى هَدْرِ الفنيق ولم يَحِفِزْ ولم يُسْلِهِ عنهنَّ إلقاحُ[133]

([119]) جمهرة اللغة، مادة (ترن).

([120]) تاج العروس، مادة (تنر).

([121]) تفسير القرطبي، م5، ج9، ص34.

([122]) تفسير الطبري، (ط4)، م7، ج12، ص24.

([123]) تفسير الطبري، م7، ج12، ص27، التفسير الكبير، م9، ج17، ص180. تفسير القرطبي، م5، ج9، ص33.

([124]) تفسير الطبري، م7، ج12، ص25.

([125]) تفسير الطبري، م7، ج12، ص24، التفسير الكبير، م9، ج17، ص180.

([126]) تفسير الطبري، م7، ج12، ص24.

([127]) تفسير الطبري، م7، ج12، ص24، تفسير القرطبي، م5، ج ، ص34.

([128]) التفسير الكبير، م9، ج17، ص181.

([129]) ديوان أمية بن أبي الصلت، أمية بن أبي الصلت، ص149.

([130]) لسان العرب، مادة (صعر).

([131]) ديوان المتلمس الضبي، المتلمس الضبي، ص24، ونسبه المرزباني في معجم الشعراء لعمرو بن حني التغلبي وهو فارس جاهلي وقال نسب للمتلمس، وقال (متقوم) ص207.

([132]) لسان العرب، مادة (صعر).

([133]) ديوان الهذليين، ج1، ص48.

"والصَّيْعَرية: سِمَّة في عنق الناقة خاصة، قال أبو علي في التذكرة: وسم لأهل اليمن ولم يكن يُوْسم إلا النوق"[134]، وقد أخطأ المتلمس إذ وصف الجَمَل بهذه الصفة إذ قال:

وقد أتناسى الهَمَّ عند احتضارِه بناجٍ عليه الصَّيْعريّة مِكْدَمُ[135]

فلما سمعه طرفة بن العبد قال: استنوق الجمل[136].

كتب التفسير أوردت ما أوردته معاجم اللغة في معنى (الصَّعَر)، وقالت في الآية الكريمة: وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ فيها قراءتان: (لا تُصَعِّر) و (لا تصاعر)، وتأويل الكلام: لا تُعرض بوجهك عمن كلمته تكبراً واستحقاراً لمن تكلمه[137]، وقيل: لا تلوي شدقيك إذا ذُكر الرجل عندك كأنك تحتقره، وهو أمر إلهي يحث على التواضع ومؤانسة الآخرين والإصغاء للصغير حتى يكمل حديثه، أسوة برسول الله صلى الله عليه وسلم[138].

أيّاً كان المعنى فهو نهي إلهي عن التكبر، الذي هو في الإسلام من الكبائر التي نهى عنها الإسلام وذمّه القرآن في أكثر من موضع، يقول تعالى: ﴿تِلْكَ ٱلدَّارُ ٱلْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا ۚ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٨٣﴾﴾ القصص: 83، وقوله تعالى: ﴿وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِى ٱلْأَرْضِ مَرَحًا ۖ﴾ لقمان: 18، وقال تعالى في قارون المتكبر: ﴿۞ إِنَّ قَٰرُونَ كَانَ مِن قَوْمِ مُوسَىٰ فَبَغَىٰ عَلَيْهِمْ ۖ﴾ القصص: 76 ومن ثمّ ذمّه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال برواية عبدالله بن مسعود: "لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كِبر"[139].

هذا المعنى الإسلامي الذي جعل من الكِبْرِ كبيرة يحاسب عليها المرء في دنياه وفي آخرته، هو الذي أعطى هذا التركيب دلالة جديدة؛ إذ كان المتكبر مذموماً في الجاهلية بين الناس وأصبح في الإسلام مذموماً في الأرض بين الناس وفي السماء عند الله، وبهذا أصبح تركيباً قرآنياً عاماً، أكد معنى كان معروفاً عند العرب، وصار بعد وروده في القرآن الكريم مصطلحاً شائعاً على صفة مذمومة في تصرفات بعض الناس.

- **وهي خاوية على عروشها:**

ورد تركيب (خاوية على عروشها) في القرآن الكريم ثلاث مرات، وذلك في قوله تعالى﴿أَوْ كَٱلَّذِى مَرَّ عَلَىٰ قَرْيَةٍ وَهِىَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا﴾ البقرة: 259.

وقوله تعالى﴿وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِۦ فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ عَلَىٰ مَآ أَنفَقَ فِيهَا وَهِىَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا﴾ الكهف:42.

وقوله تعالى: ﴿فَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَٰهَا وَهِىَ ظَالِمَةٌ فَهِىَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا وَبِئْرٍ مُّعَطَّلَةٍ وَقَصْرٍ مَّشِيدٍ ﴿٤٥﴾﴾ الحج:45.

"وخاوية من خوا: خَوَتِ الدّارُ: تهدّمت وسقطت، ومنه قوله تعالى: ﴿فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةً بِمَا ظَلَمُوٓا۟ ۗ﴾ النمل 52، وقوله تعالى: خَاوِيَةٌ أي خالية، وقيل: ساقطة على سقوفها، وخويتِ الدّارُ وخويت خيّاً وخُويّاً وخَواءً وخَوَايةً: أَقْوَتْ وخَلَتْ من أهلها، وقد تكون خاوية من المطر، وخوى البيتُ: إذا انهدم، ومنه قول الخنساء:

كان أبو حسّان عَرْشاً خَوَى مما بناه الدهرُ دانٍ ظليلْ[140]

وخَوَت النجوم تخوي خيّاً وأَخْوَت وخَوَّت: أمحلت، وقيل: خَوَت وأَخْوَت؛ إذا سقطت ولم تُمطر في نوئِها"[141]، قال كعب بن

([134]) لسان العرب، مادة (صعر).

([135]) ديوان المتلمس الضبي، ص320، وقد نسبه صَاحب اللسان للمسيب بن عَلَس، مادة (صعر).

([136]) مجمع الأمثال، م2، ص93.

([137]) تفسير الطبري، م10، ج21، ص47.

([138]) تفسير القرطبي، م7، ج14، ص70.

([139]) صحيح مسلم، مسلم بن الحجاج النيسابوري، ج2، ص277.

([140]) ديوان الخنساء، تماضر بنت عمرو بن الحارث (الخنساء)، ص311.

([141]) لسان العرب؛ مادة (خوا).

زهير يمدح الأنصار:

وَهُمُ إذا خَوَتِ النجوم فإنهم للطائفين السائلين مَقاري[142]

"والعرش: سرير الملك، قال عز وجل﴿ إِنِّي وَجَدتُّ ٱمۡرَأَةٗ تَمۡلِكُهُمۡ وَأُوتِيَتۡ مِن كُلِّ شَيۡءٖ وَلَهَا عَرۡشٌ عَظِيمٞ ﴾ النمل: 23، والجمع أعراش وعروش وعِرَشة. والعرش: البيت وجمعه عروش، وعرش البيت: سقفه، والعريش والعرش: السقف، والعرش: الخشبة، وعَرَش العرشَ يعرِشُه ويعرُشُه عَرْشاً، عَمِلَه، وعرشُ الرجل: العز والسلطان والملك وقوام الأمر، ومنه: ثُلّ عرشه: أي هُدِم.

يقول زهير بن أبي سلمى:

تداركتما الأحلاف قد ثل عرشُها وذبيانَ قد زلّت بأقدامها النعلُ[143]

قال الزجاج في خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا: أي خَلَت وخرّت على أركانها، وقيل صارت على سقوفها. فالخاوية: المنقطعة من أصولها حتى خَوَى منبتها، وأصل ذلك أن تسقط السقوفُ ثم تسقط الحيطان عليها، فخوت: صارت خاوية من الأساس"[144].

لم تبتعد كتب التفسير عما ذهبت إليه معاجم اللغة، فقالوا في چ ۋ ۇ ۆچ، "خالية قد سقط بعضها على بعض، وهو مأخوذ من خَوَتِ النجوم تخوي خيّاً: أمحلت، وذلك إذا سقطت ولم تمطر في نوئها"[145]، "ويقال: ساقطة على عروشها: سقوفها"[146]، "فتسقط السقوف على الجدران، وقد يراد بالعروش: عروش الكرم، فسقطت هذه العروش ثم سقطت الجدران عليها"[147]. "وقيل: خالية من الناس"[148].

أقول: إذا كانت العرب قد عرفت (خوى العرش) بدلالته المعنوية المتمثلة في ذهاب عز المرء وسلطانه، فقد جاء تركيب خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا يرسم صورة مادية مرئية لخراب وانهدام وزوال قرىً وجنان، فكان هذا التركيب، تركيباً قرآنياً جديداً في دلالته، يرسم صورة لذهاب وهلاك نعيم أناس جحدوا نِعَم الله كصاحب الجنة في آية سورة الكهف، أو أناس كفروا بربهم كأصحاب آيتي سورة البقرة وسورة الحج، وهذه صورة يمكن القول: إننا قد رأيناها في حاضرنا، فما يحصل اليوم؛ من أعاصير جارفة وزلازل ماحقة وأوبئة جائحة، ما هي إلا صور حية لهذا التعبير القرآني الجديد الفريد وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا.

الخاتمة (النتائج والتوصيات):

صنع القرآن الكريم تراكيب لغوية جديدة، لم تكن معروفة من قبل انتهى البحث إلى أن القرآن صنع تراكيب لغوية جديدة، لم تعرفها العرب من قبل، وظهر وجود تراكيب أضفى عليها القرآن الكريم دلالات جديدة، لم تكن تستعمل كذلك في الحياة الجاهلية. وتبين أن القرآن الكريم نزع في الأعم الأغلب إلى تخصيص دلالة المصطلحات، وذلك لرفعة الخاص على العام في التصور العقلي والاجتماعي.

ويوصي البحث بإقامة دراسات في تطور الدلالات في لغة الحديث النبوي الشريف، في ألفاظه وتراكيبه، للوقوف على ما أحدثه الحديث النبوي من دلالات جديدة أو مصطلحات جديدة. كما ويوصي البحث بتوجيه القائمين على وضع مناهج التعليم العام والتعليم العالي، إلى الإفادة من هذه المصطلحات القرآنية في موضوعات التعليم ومحتواه؛ حتى يقترب الطلاب من لغة القرآن الكريم ويتعرفوا إلى كنوز اللغة العربية.

مصادر البحث ومراجعه.

- أدب الكاتب ابن قتيبة، أبو محمد عبدالله بن مسلم، (1996). تحقيق: محمد الدالي، (ط2)، بيروت، مؤسسة الرسالة.

([142]) شرح ديوان كعب بن زهير، أبو سعيد الحسن بن الحسين بن عبيدالله السكري، ص28. يقال: خوت وأخوت النجوم. مقاري: من قرى الضيف.

([143]) شرح ديوان زهير بن أبي سلمى أبو العباس أحمد بن يحيى (المعروف بثعلب)، ص109.

([144]) لسان العرب، مادة (عرش).

([145]) تفسير القرطبي، م5، ج10، ص410.

([146]) التفسير الكبير، م11، ج21، ص109، تفسير القرطبي، م5، ج10، ص410.

([147]) التفسير الكبير، م11، ج21، ص109. تفسير القرطبي، م5، ج10، ص410. التسهيل لعلوم التنزيل، م1، ج1، ص90.

([148]) التسهيل لعلوم التنزيل، م1، ج1، ص90.

- تاج العروس من جواهر القاموس، الزبيدي، محمد مرتضى. تحقيق: إبراهيم الترزي، (د.ط)، الكويت، مطبعة الكويت، (1972).
- التسهيل لعلوم التنزيل، ابن جزي الكلبي، محمد بن أحمد. (د.ط)، (د.م)، دار الفكر، (د.ت).
- تفسير البحر المحيط، أبو حيان الأندلسي، محمد بن يوسف. (ط2)، (د.م)، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، (1983).
- التفسير الكبير أو مفاتيح الغيب الفخر الرازي، محمد بن عمر. (ط1)، بيروت، لبنان، دار الكتب العلمية، (1990).
- تهذيب اللغة، الأزهري، أبو منصور محمد بن أحمد. تحقيق: محمود عبدالنبي، (د.ط)، القاهرة، الدار المصرية للتأليف والترجمة، (د.ت).
- جامع البيان في تفسير القرآن (المعروف بتفسير الطبري)، الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير. (ط4)، بيروت، لبنان، دار المعرفة، (1980).
- الجامع لأحكام القرآن (المعروف بتفسير القرطبي)، القرطبي، أبو عبدالله محمد بن أحمد. (ط3)، (د.م)، دار الكاتب العربي، (1967).
- جمهرة اللغة، ابن دريد الأزدي، أبو بكر محمد بن الحسن. علق عليه ووضح حواشيه وفهارسه: إبراهيم شمس الدين، (ط1)، بيروت، لبنان، دار الكتب العلمية، (2005).
- الخصائص، ابن جني، أبو الفتح عثمان. تحقيق: محمد علي النجار، (د.ط)، (د.م)، المكتبة العلمية ودار الكتب المصرية (د.ت).
- ديوان الأعشى الكبير، الأعشى، ميمون بن قيس. تحقيق: محمد محمد حسين، (ط7)، بيروت، لبنان، مؤسسة الرسالة، (1983).
- ديوان امرئ القيس، امرؤ القيس، ابن حجر الكندي. تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، (ط4)، القاهرة، دار المعارف، (1984م).
- ديوان أمية بن أبي الصلت، ابن أبي الصلت، أمية. تحقيق: سجيع جميل الجبيلي، (ط1)، بيروت، دار صادر، (1998م).
- ديوان أوس بن حجر، أوس بن حجر. تحقيق: محمد يوسف نجم، (ط3)، بيروت، دار صادر، (1979م).
- ديوان تأبط شراً، تأبط شراً، ثابت بن جابر الفهمي القيسي. جمع وتحقيق وشرح: علي ذو الفقار شاكر، (ط1)، (د.م)، دار الغرب الإسلامي، (1984م).
- ديوان حسان بن ثابت، حسان بن ثابت. تحقيق: عبدالرحمن البرقوقي، (د.ط)، مصر، المكتبة التجارية الكبرى، (د. ت).
- ديوان الخنساء، الخنساء، تماضر بنت عمرو بن الحارث. شرح: أبو العباس ثعلب، تحقيق: أنور أبو سويلم، (ط1)، عمان، الأردن، دار عمار، (1988م).
- ديوان ذي الرُّمة، ذو الرمة، غيلان بن عقبة العدوي. شرح: أبو نصر أحمد بن حاتم الباهلي صاحب الأصمعي، تحقيق: عبدالقدوس أبو صالح، (ط2)، بيروت لبنان، مؤسسة الإيمان، (1982م).
- ديوان الراعي النميري، الراعي النميري، عبيد بن حصين. شرح: واضح الصمد، (ط1)، دار الجيل، بيروت، (1995م).
- ديوان الطفيل الغنوي، الغنوي، طفيل بن كعب. شرح الأصمعي، تحقيق: حسان فلاح أوغلي، (ط1)، بيروت، دار صادر، (1997م).
- ديوان لبيد بن ربيعة العامري، لبيد بن ربيعة العامري. تحقيق: إحسان عباس، (د.ط)، الكويت، وزارة الإرشاد والأنباء، (1962).

- ديوان المتلمس الضبي، الضبي المتلمس. تحقيق: حسن كامل الصيرفي، (د.ط) معهد المخطوطات العربية، (1970م).
- ديوان ابن مقبل، ابن مقبل، تميم بن أُبَيّ. تحقيق: عزة حسن، (د.ط)، دمشق، مديرية إحياء التراث القديم، (1962م).
- ديوان المهلهل، المهلهل، عدي بن ربيعة بن الحارث بن زهير. شرح وتحقيق: أنطوان محسن القوّال، (ط1)، بيروت، دار الجيل، (1995م).
- ديوان الهذليين، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، (د.ط)، القاهرة، الدار القومية للطباعة والنشر (1965).
- سلسلة الأحاديث الصحيحة، الألباني، محمد ناصر الدين. (ط2)، عمان، المكتبة الإسلامية، الكويت، الدار السلفية، (1404هـ).
- شرح ديوان زهير بن أبي سلمى، ثعلب، أبو العباس أحمد بن يحيى. (ط2)، القاهرة، دار الكتب المصرية، (1995م).
- شرح ديوان كعب بن زهير السكري، أبو سعيد الحسن بن الحسين بن عبيدالله. (ط2)، دار الكتب المصرية بالقاهرة، (1995م).
- شواهد في الإعجاز القرآني (دراسة لغوية دلالية)، عودة خليل أبو عودة. (ط1)، عمان، الأردن، دار البيارق، دار عمار، (1998).
- صحيح مسلم، مسلم بن الحجاج النيسابوري، (1994). شرح: الإمام محيي الدين النووي، تحقيق: خليل مأمون شيحا، (ط1)، بيروت، لبنان، دار المعرفة.
- في ظلال القرآن، سيد قطب. (د.ط) بيروت، القاهرة، دار الشروق، (د.ت).
- القاموس المحيط، الفيروز أبادي، مجد الدين. (د.ط)، مصر، مطبعة السعادة والمكتبة التجارية الكبرى، (د.ت).
- كتاب الاختيارين، الأخفش الأصغر، أبو المحاسن علي بن سليمان. تحقيق: فخر الدين قباوة، (ط2)، بيروت، مؤسسة الرسالة، (1984م).
- الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، الزمخشري، أبو القاسم جارالله محمود بن عمر. (د.ط)، دار المعرفة، بيروت، لبنان، (د.ت).
- كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال، البرهان فوري، علاء الدين علي المتقي بن حسام الدين. ضبطه وصححه: بكري حياني وصفوة السّقا، (ط5)، بيروت، مؤسسة الرسالة، (1985).
- لسان العرب، ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم. (د.ط)، بيروت، لبنان، دار صادر، (د.ت).
- لمحات جديدة من إعجاز القرآن في المطر والسحاب، شوقي إبراهيم أحمد، (2010م).

الموقع الإلكتروني على الشبكة العالمية (الإنترنت): www.Islamhouse.com

- مجمع الأمثال، الميداني، أبو الفضل أحمد بن محمد. تحقيق: محمد محيي الدين عبدالحميد، (د.ط)، (د.م)، مطبعة السنة المحمدية، (1955م).
- مجمل اللغة، ابن فارس، أبو الحسين أحمد. تحقيق: هادي حسن حمودي، (ط1)، الصفاة، الكويت، منشورات المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم (معهد المخطوطات العربية)، (1985م).
- معجم الشعراء، المرزباني. أبو عبيدالله محمد بن عمران. تحقيق: ف. كرنكو، (ط3)، بيروت، دار الكتب العلمية، (1982م).
- المعجم الكبير الطبراني، أبو القاسم سليمان بن أحمد. تحقيق: حمدي عبدالمجيد السلفي، (ط1)، وزارة الأوقاف وإحياء التراث الإسلامي، العراق، (1979م).

- المعرب من الكلام الأعجمي على حروف المعجم، الجواليقي، أبو منصور موهوب بن أحمد. تحقيق: أحمد محمد شاكر، (ط1)، القاهرة، دار الكتب المصرية، (1361هـ).
- المفردات في غريب القرآن، الراغب الأصفهاني، أبو القاسم الحسين بن محمد. (د.ط) مصر، المطبعة الميمنية مصطفى البابي الحلبي، (د.ت).
- المفضليات، المفضل الضبي، المفضل بن محمد بن يعلى. تحقيق وشرح: أحمد محمد شاكر، وعبدالسلام هارون، (ط3)، دار المعارف، القاهرة، (1964م).